كامل كيلاني

الصَّيَّادُ وَالْعَنْكَبَةُ



كامل كيلاني

أَسَاطِيرُ إِفْرِيقِيَّة

الصَّيَّادُ وَالعَنْكَبَة

دار مكتبة الأطفال - القاهرة
أول مؤسسة عربية لتثقيف الطفل
٣٢ شارع حسن الأكبر - ت ٥٠٨١٨
٢٨ شارع البستان - ت ٣٣١٥٨

مطبعة الاستقامة بالقاهرة
شارع ثريا باشا رقم ١٣

١ – «مَرْمَرٌ» وَ«زُمُرُّدَةُ»

كانَ « مَرْمَرٌ الصَّيَّادُ » مِثالَ الذَّكاءِ والشَّجاعَةِ والْجُرْأَةِ والْإِقْدامِ . وَكانَ مُولَعًا بِالصَّيْدِ والْقَنْصِ فِي أَكْثَرِ أَوْقاتِ النَّهارِ واللَّيْلِ ، وَلَمْ يَكُنْ يُخْطِئُه الْفَوْزُ والنَّصْرُ ، ولا يُفْلِتُ مِنْ رُمْحِهِ الْقَصِيرِ حَيَوانٌ بَرِّيٌّ أَوْ بَحْرِيٌّ .

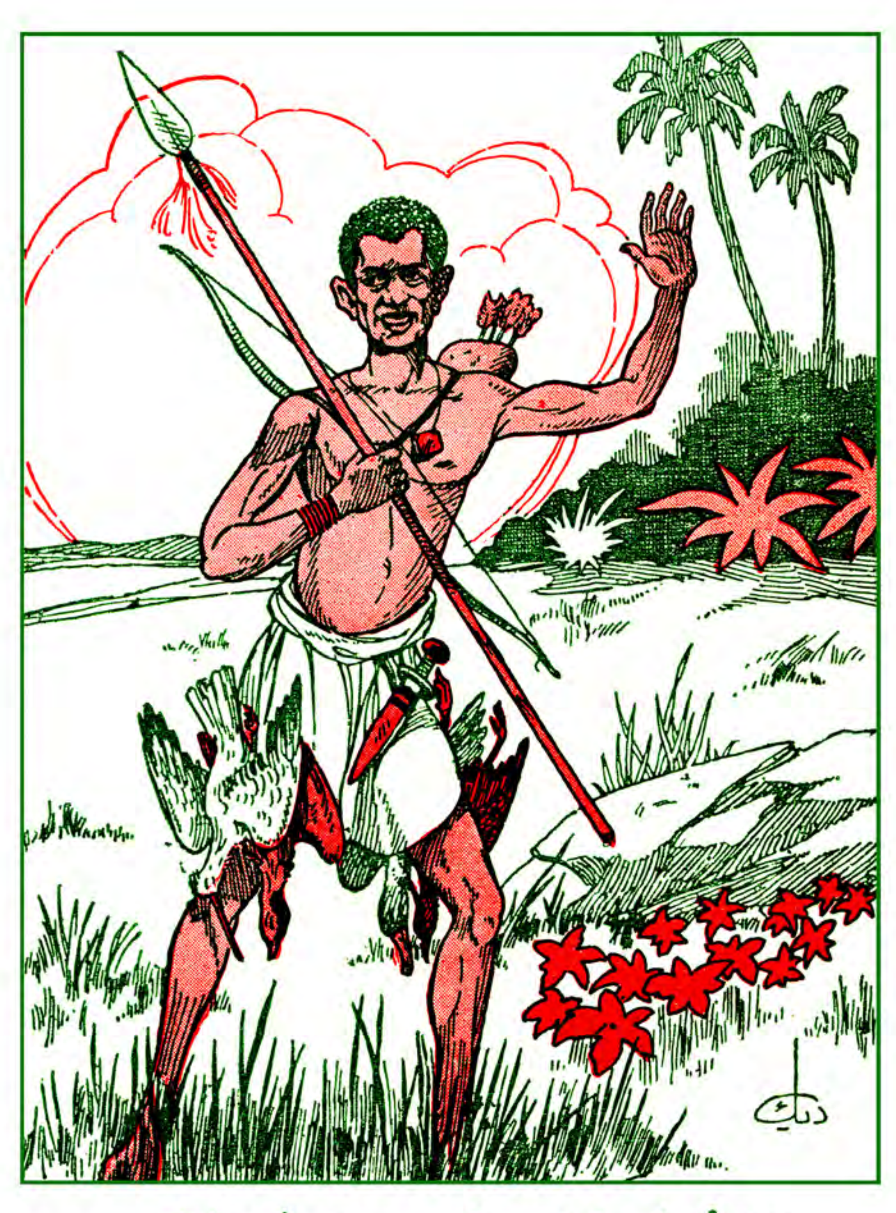
وَكانَ يَقْضِي أَكْثَرَ أَوْقاتِهِ فِي الْغابَةِ ، وَلَمْ يَعْرِفْ لِلْإِخْفاقِ ولا لِلْيَأْسِ مَعْنًى طُولَ حَياتِهِ .

ثُمَّ تَزَوَّجَ « مَرْمَرٌ الصَّيَّادُ » فَتاةً حَسْناءَ اسْمُها : « زُمُرُّدَةُ » .

وَكانَتْ « زُمُرُّدَةُ » ـ هٰذِهِ ـ رَحِيمَةً بارَّةً بِالْحَيَوانِ ، كَما كانَتْ رَحِيمَةً بارَّةً بِزَوْجِها : تَأْلَمُ لِما يُصِيبُ الْحَيَوانَ مِنْ أَلَمٍ ، وَتَخْشَى عَلَى زَوْجِها مِمَّا يَتَعَرَّضُ لَهُ مِنَ الْأَخْطارِ .

٢ – رُمْحُ الصَّيَّادِ

وكانَ مِنْ عادَةِ « مَرْمَرٍ » أَنْ يَدْهُنَ رُمْحَهُ الْقَصِيرَ بِدِهانٍ مَسْحُورٍ ، حَتَّى لا يَنْجُوَ مِنْهُ حَيَوانٌ ، وكانَ يُغَنِّي ـ وَهُوَ يَدْهُنُ هٰذا الرُّمْحَ ـ هٰذِهِ الْأُنْشُودَةَ :



وَلا يُفلِتُ مِنْ رُمْحِهِ الْقَصِيرِ ، حَيَوانٌ برِّيٌّ أوْ . . .

« اُقْتُـلْ يا رُمْحِى يا رُمْحِى الصَّغِيرْ :
أَسْمـا كًا سَبَحَتْ فِى الْبَحْرِ الْـكَبِيرْ
وطُيُـــورًا طارَتْ فِى الرَّوْضِ النَّضِيرْ

***

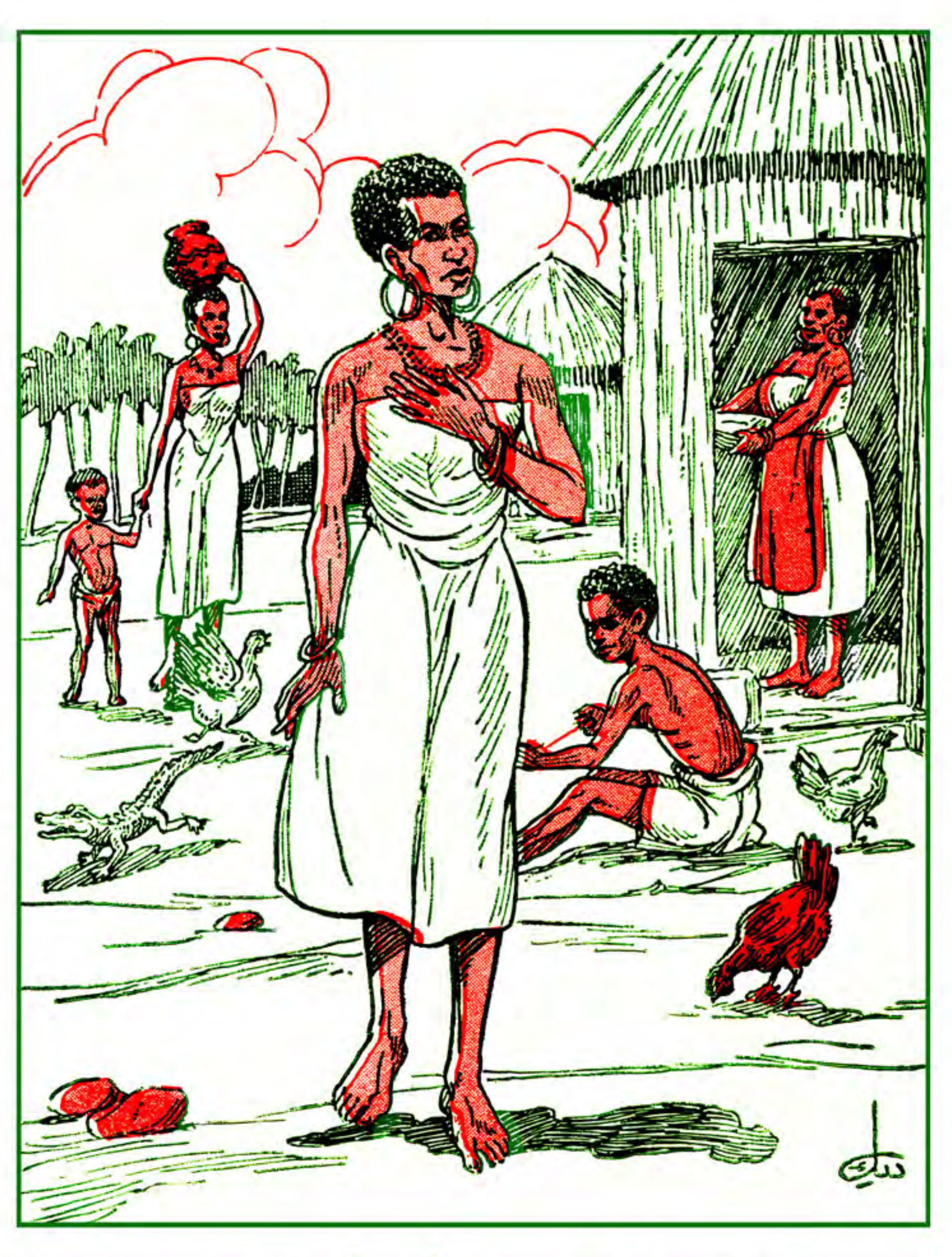
شَتِّتْ يا رُمْحِى أَبْقـارَ الْغـــابَهْ
وَغَـــزالَ الْوادِى بَـدِّدْ أَسْرابَهْ

***

أَهْلِكْ - يا رُمْحِى - خِنْـــزِيرَ الْـــبَرِّ
واُصْرَعْ - يا رُمْحِى - حِيتـانَ الْبَحْـرِ
واقْتُـلْ - يا رُمْحِى - قُنْفُـــذَةً تَجْرِى
فِى وَقْتِ الظُّهْـــرِ وَأَوانِ الْعَصْرِ
وَقُبَيْـــلَ الْفَجْرِ . »

ولٰـكِنَّ زَوْجَهُ « زُمُرُّدَةَ » كانَتْ تُغافِلُهُ ، وَتَدْهُنُ رُمْحَهُ بِدِهانٍ مَسْحُورٍ آخَرَ ، حَتَّى لا يُؤْذِىَ أَىَّ حَيَوانٍ .
وَكانَتْ تَدْهُنُ الرُّمْحَ ، وَهِىَ تُغَنِّى هٰذِهِ الْأُنْشُودَةَ :

« يا رُمْحَ الشَّرِّ لا تَقْتُلْ أَحَـدًا
لا تَقْتُلْ وَحْشًا أَوْ طَيْرًا غَرِدًا



وَكانَتْ « زُمُرُّدَةُ » رَحِيمَةً بارَّةً بِالْحَيَوانِ ...

لا تَصْرَعْ رَجُلًا لا تُهْلِكْ وَلَدَا
لا تَقْتُلْ أَحَدًا لا تَقْتُلْ أَبَدَا

***

أَبقارَ الْغابِ وَغَزالَ الْوادِى :
سِيرِى آمِنَةً عُدْوانَ الْعادِى

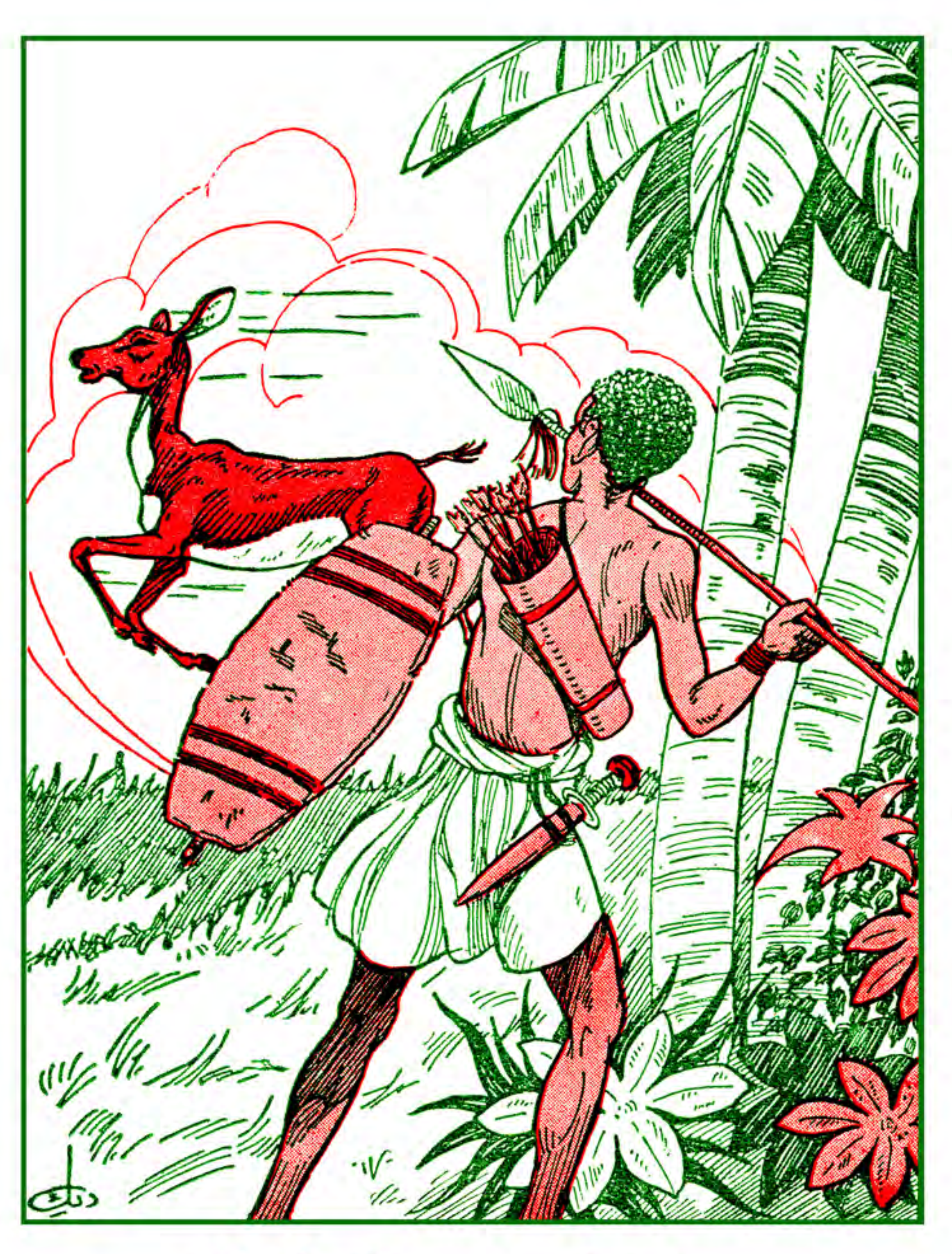
***

أَسْماكَ الْبَحْرِ وَطُيُورَ الْبَرِّ :
عِيشِى وادِعَةً آمِنَةَ الشَّرِّ
فِى وَقْتِ الظُّهْرِ وَأَوانِ الْعَصْرِ
وَقُبَيْلَ الْفَجْرِ . »

وَقَدْ تَبَدَّلَتْ أَحْوالُ « مَرْمَرٍ الصَّيَّادِ » بَعْدَ يَوْمِ زَواجِهِ « زُمُرُّدَةَ » ، فَلَمْ يَعُدْ رُمْحُهُ يُصِيبُ الْهَدَفَ بَعْدَ ذٰلِكَ .

وَكانَ إِذا صَوَّبَهُ إِلَى بَقَرَةٍ مِنْ أَبْقارِ الْغابِ أَوْ غِزْلانِهِ ، انْزَلَقَ مِنْ يَدِهِ وَلَمْ يَمَسَّها بِسُوءٍ . وَرُبَّما اخْتَرَقَ الْأَشْجارَ ، دُونَ أَنْ يُصِيبَ الْفَرِيسَةَ ! وَقَدْ غُلِبَ « مَرْمَرٌ » عَلَى أَمْرِهِ .. وَكانَ يَعُودُ إِلَى بَيْتِهِ - فِى كُلِّ يَوْمٍ - صِفرَ الْيَدَيْنِ .

وَهٰكَذا تَغَلَّبَ سِحْرُ « زُمُرُّدَةَ » عَلَى سِحْرِ زَوْجِها « مَرْمَرٍ الصَّيَّادِ » .



وَغَزالَ الْوادِى بَدَّدْ أَسْرابَهْ

٣ - الْبَقَرَةُ الْوَحْشِيَّةُ

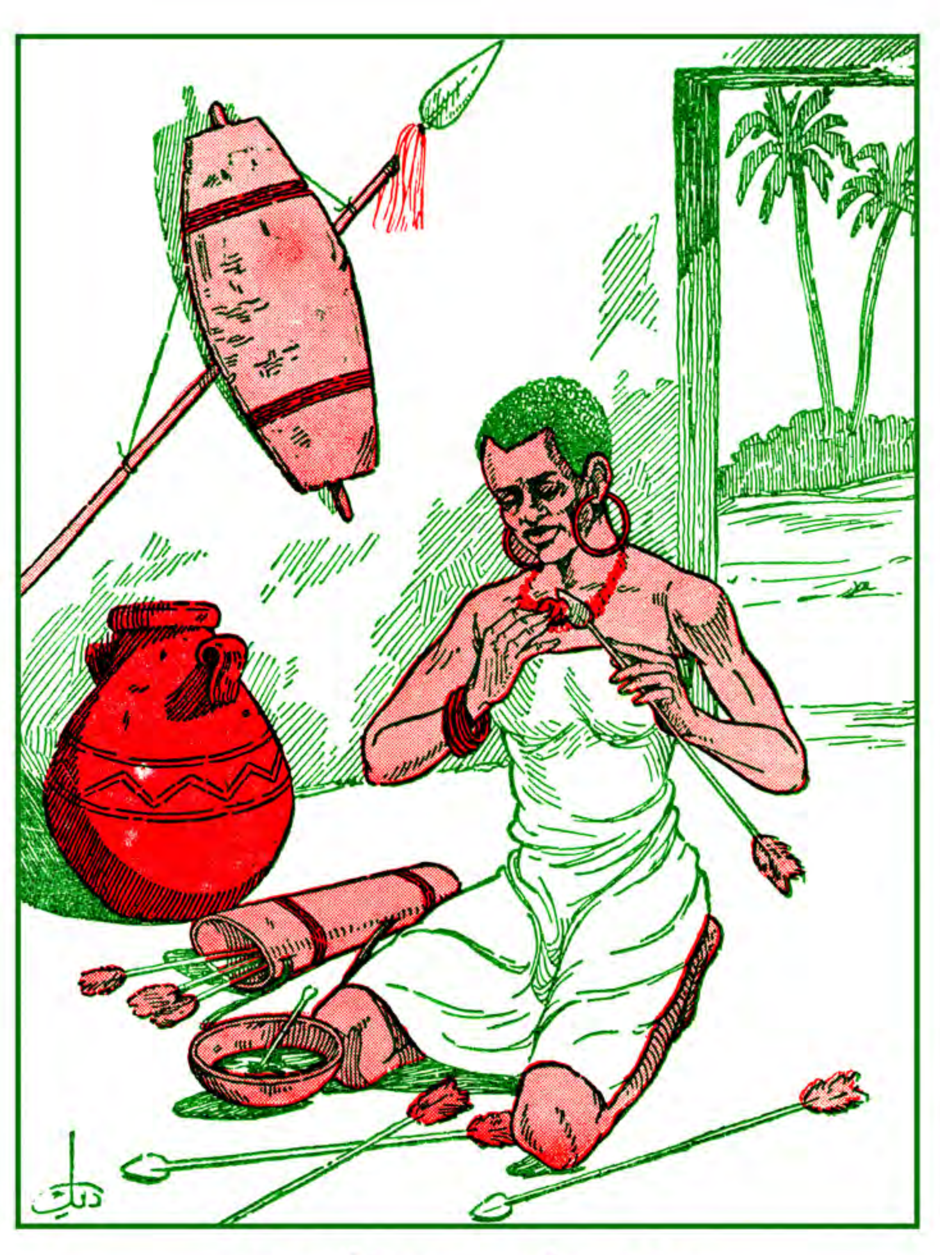
وَفِي ذاتِ يَوْمٍ خَرَجَ « مَرْمَرٌ » - عَلَى عادَتِهِ - إِلَى الْغابَةِ ، وَرَأَى بَقَرَةً وَحْشِيَّةً كَبِيرَةً ؛ فَظَلَّ يُطارِدُها حَتَّى داناها ، ثُمَّ صَوَّبَ إِلَيْها رُمْحَهُ فِي مَهارَةٍ ، وَحِذْقٍ وَرَشاقَةٍ .

وَلٰكِنَّ الرُّمْحَ انْزَلَقَ بَيْنَ قَرْنَيْها ، وَنَفَذَ فِي جِذْعِ شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ . وَسُرْعانَ ما اهْتاجَتِ الْبَقَرَةُ واشْتَدَّ غَيْظُها عَلَى « مَرْمَرٍ » فانْطَلَقَتْ تَعْدُو (تَجْرِى) فِي أَثَرِهِ ، حَتَّى أَدْرَكَتْهُ ؛ فَنَطَحَتْهُ بِقَرْنَيْها فَصَرَعَتْهُ ، وَتَرَكَتْهُ أَقْرَبَ إِلَى الْمَوْتِ مِنْهُ إِلَى الْحَياةِ .

٤ - آلامُ « مَرْمَرٍ »

وَكانَ جُرْحُ « مَرْمَرٍ » خَطِيرًا ، فَلَمْ يَسْتَطِعِ السَّيْرَ إِلَى بَيْتِهِ .. وَقَدْ بَذَلَ جُهْدَهُ فِي الْعَوْدَةِ إِلَى عُشِّهِ زَحْفًا ، حَتَّى بَلَغَهُ بَعْدَ عَناءٍ شَدِيدٍ .. وَظَلَّ راقِدًا فِي عُشِّهِ أَيَّاماً عِدَّةً ، وَهُوَ يُعانِي مِنَ الْآلامِ ما يُعانِي .

وَقَدْ حَزِنَتْ « زُمُرُّدَةُ » لِمَرَضِهِ أَشَدَّ الْحُزْنِ ، وَنَدِمَتْ عَلَى رُقْيَتِها الَّتِي كانَتْ تَتْلُوها عَلَى رُمْحِ زَوْجِها ، وَوَدَّتْ لَوْ أَنَّها



يا رُمْحَ الشَّرِّ   لا تَقْتُلْ أَحَدًا

تَرَكَتْ رُمْحَهُ - كَما كانَ - ماضِيًا نَفّاذًا ، دُونَ أَنْ تَدْهُنَهُ بِالْمَرْهَمِ الْمَسْحُورِ ، الَّذِى أَفْقَدَهُ مَضاءَهُ وَنَفاذَهُ وسَدادَ طَعْنَتِهِ .

وَقَدْ بَذَلَتْ « زُمُرُّدَةُ » كُلَّ ما فِى وُسْعِها ، فِى الْعِنايَةِ بِزَوْجِها .

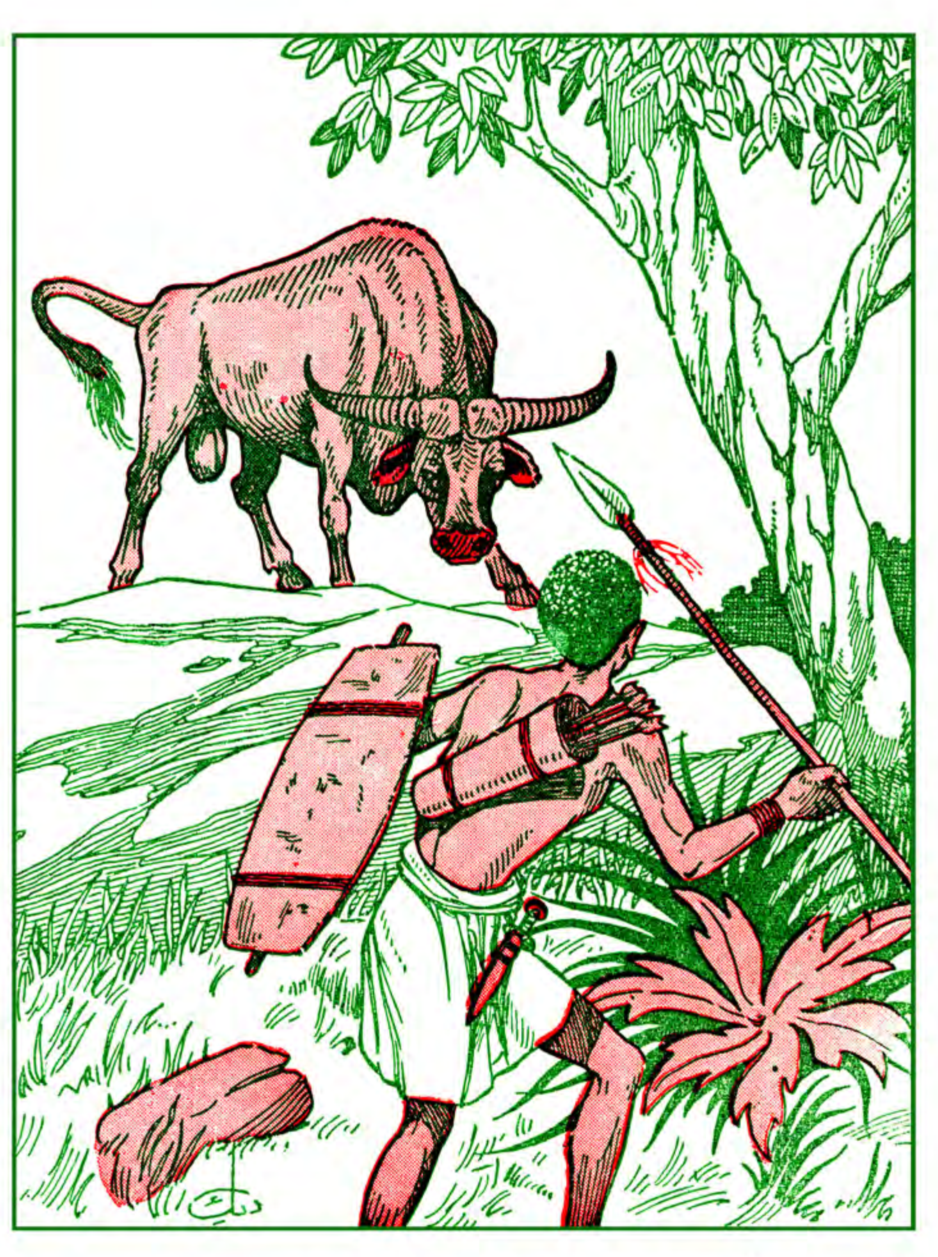
وَلَمْ يَكُنْ حُزْنُ أَصْحابِهِ بِأَقَلَّ مِنْ حُزْنِها عَلَيْهِ ؛ فَقَدْ كانُوا يُكْبِرُونَ فِيهِ ذَكاءَهُ وَشَجاعَتَهُ وَإِقْدامَهُ . وَقَدْ هَمُّوا بِمُعاقَبَةِ « زُمُرُّدَةَ » عَلَى خَطَئِها ؛ وَلٰكِنَّهُمْ رَأَوْا - مِنْ حُزْنِها عَلَى زَوْجِها وَنَدَمِها عَلَى ما فَعَلَتْ - ما جَعَلَهُمْ يُحْجِمُونَ عَنْ مُعاقَبَتِها .

٥ - حِوارُ الصَّيّادِ وَزَوْجَتِهِ

وَبَعْدَ أُسْبُوعَيْنِ شُفِىَ « مَرْمَرٌ » مِنْ جِراحِهِ ؛ وَلٰكِنَّ قَدَمَيْهِ لَمْ تُشْفَيا مِنْ أَثَرِ تِلْكَ الْكارِثَةِ ، وَلَم يَسْتَطِعِ السَّيْرَ حِينَئِذٍ .

فَقالَتْ لَهُ زَوْجَتُهُ :

« اِغْفِرْ لِى - أَيُّها الزَّوْجُ الْكَرِيمُ - ذٰلِكَ الْخَطَأَ الَّذِى ارْتَكَبْتُهُ ؛ فَقَدِ اضْطُرِرْتُ إِلَيْهِ اضْطِرارًا . . وَسَحَرْتُ رُمْحَكَ



ثُمَّ صَوَّبَ إِلَيْهَا رُمْحَهُ فِي مَهَارَةٍ . . .

حَتَّى أُرْغِمَكَ عَلَى تَرْكِ الصَّيْدِ ؛ لِأَنَّنِي كُنْتُ أَخْشَى عَلَيْكَ فَتَكاتِ الْوُحُوشِ الضَّارِيَةِ (الْمُفْتَرِسَةِ) . »

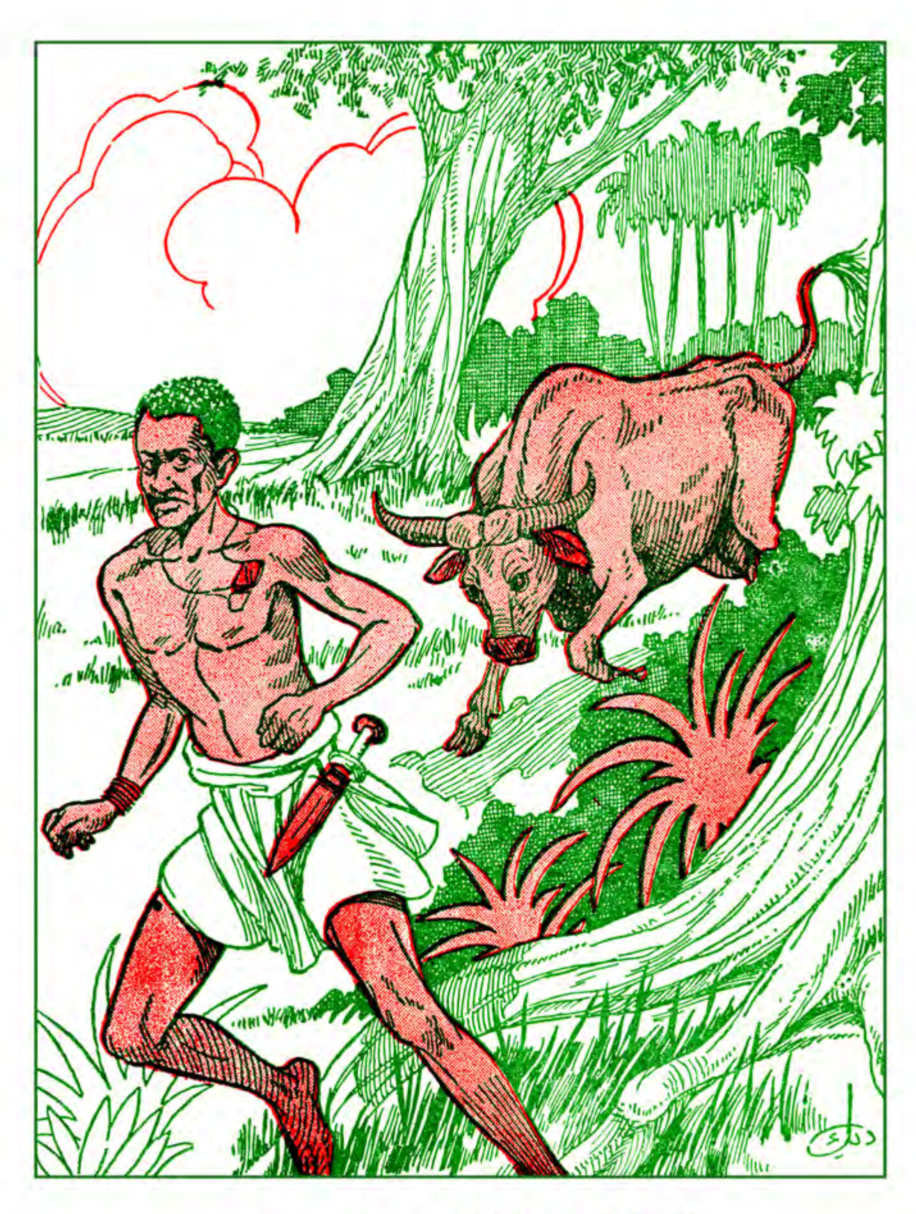
فَقالَ لَها « مَرْمَرٌ » : « إِنَّ مَنْ شُغِفَ بِالصيْدِ وَالْقَنْصِ لايَعْدِلُ عَنْهُما ، مَهْما يَلْقَ مِنْ أَحْداثٍ وَخُطُوبٍ ، فَلا تَحْسَبِينِي قَدْ كَفَفْتُ عَنِ الصَّيْدِ والْقَنْصِ بَعْدَ أَنْ تعَرَّضْتُ لِلهَلاكِ .

وَلْتَكُونِي عَلَى ثِقَةٍ أَنَّنِي لَنْ أَهْجُرَ الصَّيْدَ ، ما دامَ فِي بَدَنِي قُوَّةٌ تُمَكِّنُنِي مِنَ الذَّهابِ إِلَى الْغابَةِ ، وَلَوْ زَحْفًا . »

وَحاوَلَتْ زَوْجَتُهُ أَنْ تُحَبِّبَ إِلَيْهِ الْبَقاءَ فِي عُشِّهِ ، حَتَّى يَتِمَّ شِفاؤُهُ ؛ وَلٰكِنَّ شَغَفَهُ بِالصَّيْدِ أَنْساهُ ضَعْفَهُ ، فَلَمْ يُصِخْ (يَسْتَمِعْ) إِلَى نُصْحِ زَوْجَتِهِ .

٦- عَنْكَبَةُ الْغابَةِ

ثُمَّ ذَهَبَ « مَرْمَرٌ » إِلَى الْغابَةِ زَحْفاً عَلَى يَدَيْهِ وَرُكْبَتَيْهِ ، وَقَضَى نَهارَهُ فِيها ، وَظَلَّ يُراقِبُ حَيَوانَ الْغابَةِ فِي غُدُوِّهِ وَرَواحِهِ ، بِرَغْمِ عَجْزِهِ عَنِ اقْتِناصِ شَيْءٍ مِنْهُ !



الْبَقَرَةُ الْوَحْشِيَّةُ تَعْدُو فِي أَثَرِ «مَرْمَرٍ»

فَلَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ (أَظْلَمَ) عادَ إِلَى عُشِّهِ . .
وَقَضَى عَلَى هٰذِهِ الْحالِ أَيَّامًا . . .

وَذا صَباحٍ ، اسْتَلْقَى « مَرْمَرٌ » عَلَى ظَهْرِهِ فِى الْغابَةِ ، وَظَلَّ يُراقِبُ الْأَشْجارَ ؛ فَرَأَى عَنْكَبَةً تَنْسُجُ عُشَّها ، وَتَمُدُّ - لِصَيْدِ فَرائِسِها - شِباكَها .

فَصاحَ « مَرْمَرٌ » ، وَقَدْ تَمَلَّكَهُ الدَّهَشُ :

« حَتَّى أَنْتِ - يا سَيِّدَةَ الْعَناكِبِ - صَيَّادَةٌ ماهِرَةٌ ! »

فَقالَتْ لَهُ الْعَنْكَبَةُ :

« وَمَنْ أَعْلَمُ بِالصَّيْدِ مِنِّى وَأَخْبَرُ ؟ »

فَقالَ لَها « مَرْمَرٌ » :

« ما كُنْتُ أَحْسَبُكِ مُتَمَيِّزَةً بِمِثْلِ هٰذِهِ الْبَراعَةِ ! »

فَقالَتِ الْعَنْكَبَةُ :

« لَوْ أَنَّكَ حاكَيْتَنِى فِيما أَعْمَلُ ، وَصَنَعْتَ شَبَكَةً عَلَى غِرارِ هٰذِهِ الشَّبَكَةِ ؛ لَسَهُلَ عَلَيْكَ أَنْ تَصْطادَ ما شِئْتَ مِنْ وُعُولِ الْغابَةِ وَأَبْقارِها ، وَقَنافِذِها وَغِزْلانِها ؛ دُونَ أَنْ يَمَسَّكَ سُوءٌ . وَلَوْ أَنَّكَ فَعَلْتَ مِثْلَ ما أَفْعَلُ ،



« حَتَّى أَنْتِ ، يا سَيِّدَةَ الْعَناكِبِ ، صَيَّادَةٌ ماهِرَةٌ ! »

لَما عَرَّضْتَ نَفْسَكَ لِخَطَرِ الْبَقَرَةِ الْوَحْشِيَّةِ الَّتِي نَطَحَتْكَ ، وَكادَتْ تَقْتُلُكَ . »

* * *

فَعَجِبَ « مَرْمَرٌ » مِنْ ذَكاءِ الْعَنْكَبَةِ ، وَجَلَسَ يُفَكِّرُ فِيما سَمِعَهُ مِنْها ، ثُمَّ قالَ لِنَفْسِهِ :

« حَقًّا إِنَّها صَيَّادَةٌ ماهِرَةٌ ؛ لِأَنَّها تَصْطادُ فَرائِسَها ، دُونَ أَنْ تُعَرِّضَ نَفْسَها لِسُوءٍ . وَلا بُدَّ لِي مِنْ مُحاكاتِها فِي هٰذا . وَما أَجْدَرَنِي أَنْ أَصْنَعَ شَبَكَةً مِنْ حِبالِ الْأَشْجارِ ؛ لِأَصْطادَ بِها فَرائِسِي مِنَ الْحَيَوانِ - كَما تَصْطادُ الْعَنْكَبَةُ فَرائِسَها مِنَ الْحَشَراتِ - دُونَ أَنْ أُعَرِّضَ نَفْسِي لِسُوءٍ . »

٧ - حِبالَةُ الصَّيَّادِ

وَظَلَّ « مَرْمَرٌ » - مُنْذُ ذٰلِكَ الْيَوْمِ - يَفْتِلُ الْحِبالَ مِنْ سُوقِ النَّباتاتِ الْقَوِيَّةِ الْمَتِينَةِ ، حَتَّى تَهَيَّأَ لَهُ مِنَ الْحِبالِ ما يُرِيدُ ؛ فَصَنَعَ شَبَكَتَهُ عَلَى غِرارِ شِباكِ الْعَنْكَبَةِ ، ثُمَّ وَضَعَها بَيْنَ أَشْجارِ الْغابَةِ ، بَعْدَ أَنْ شَدَّ الْحِبالَةَ إِلَى جُذُوعِ الْأَشْجارِ .

وَلَمَّا جاءَ الْيَوْمُ التَّالِى ، ذَهَبَ « مَرْمَرٌ » فِى الصَّباحِ ؛ فَرَأَى فِى حِبالَتِهِ جَمْهَرَةً مِنَ الْأَبْقارِ ، والْغِزْلانِ ، والْقَنافِذِ ، وَغَيْرِها مِنْ حَيَوانِ الْغابَةِ .. وَرَآها جَمِيعاً مُرْتَبِكَةً فِى الْحِبالَةِ ، لا تَسْتَطِيعُ مِنْها فَكاكاً ، وَهِىَ تُحاوِلُ النَّجاةَ ـ جاهِدَةً ـ فَلا تَجِدُ إِلَيْها سَبِيلًا .

فالْتَفَتَ « مَرْمَرٌ » إِلَى الْعَنْكَبَةِ الذَّكِيَّةِ ، وَقالَ لَها :

« شُكْرًا لَكِ ، أَيَّتُها الصَّدِيقَةُ الْماهِرَةُ ، عَلَى ما هَدَيْتِنِى إِلَيْهِ مِنْ خَيْرٍ ؛ فَقَدْ صَنَعْتُ الْحِبالَةَ ، وَفْقَ ما أَرْشَدْتِنِى ، وَنَسَجْتُها عَلَى غِرارِ ما عَلَّمْتِنِى ؛ فَأَصَبْتُ بِها غُنْمًا عَظِيمًا ! »

فَقالَتْ لَهُ الْعَنْكَبَةُ :

« إِنِّى مَسْرُورَةٌ جِدًّا بِنَجاحِكَ وَتَوْفِيقِكَ ، وَما أَسْعَدَنِى بِما تَجْنِيهِ مِنِ اتِّباعِ نَصِيحَتِى . »

وَلَمَّا عادَ « مَرْمَرٌ » إِلَى عُشِّهِ ، فَرِحَتْ زَوْجَتُهُ بِما ظَفِرَ بِهِ مِنْ صَيْدٍ ، وَهَنَّأَتْهُ بِما أَحْرَزَهُ مِنْ نَجاحٍ .

* * *

٨- الثَّوْبُ الْمَنْسُوجُ

وَما زالَ « مَرْمَرٌ » يَتَفَنَّنُ فِي نَسْجِ حَبائِلِهِ (شِباكِهِ) ، مُرْتَقِيًا فِي إِتْقانِها ؛ حَتَّى أَصْبَحَتْ شِباكُهُ عَلَى أَحْسَنِ غِرارٍ ، وَصارَتْ حِبالُها أَلْيَنَ مَلْمَسًا ، وَأَمْتَنَ نَسْجًا .

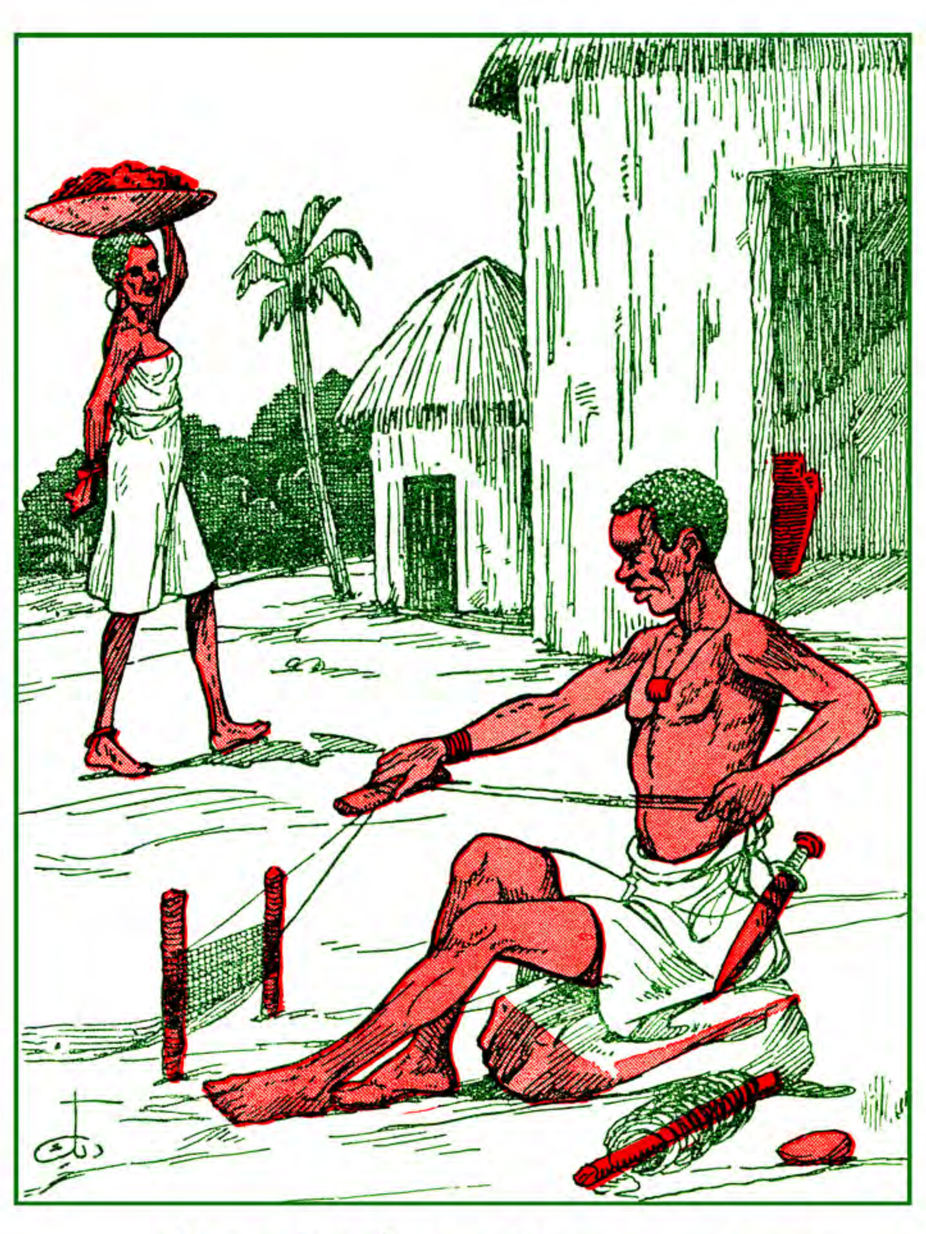
وَفِي ذاتِ يَوْمٍ ، قالَتْ لَهُ زَوْجَتُهُ :

« ما أَجْمَلَ هٰذِهِ الشِّباكَ ، وَما أَجْدَرَنِي أَنْ أَرْتَدِيَ واحِدَةً مِنْها ، إِذا اسْتَطَعْتَ أَنْ تُرَقِّقَ مِنْ نَسْجِها ؛ فَإِنَّ مَنْظَرَها جَمِيلٌ ! »

وَلَمْ يَكُنْ لِنِساءِ الْغابَةِ - حِينَئِذٍ - عَهْدٌ بِارْتِداءِ مِثْلِ هٰذِهِ الثِّيابِ الْجَمِيلَةِ ؛ فَقَدْ كانَتْ ثِيابُهُنَّ تُصْنَعُ - فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ - مِنَ الْأَلْيافِ الْخَشِنَةِ ، الَّتِي تَزْدادُ خُشُونَتُها ؛ كُلَّما بَلَّها الْماءُ .

فَوَعَدَ « مَرْمَرٌ » زَوْجَتَهُ بِتَلْبِيَةِ رَغْبَتِها ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى صَدِيقَتِهِ الْعَنْكَبَةِ ، فَقالَ لَها :

« لَقَدْ جِئْتُكِ مُسْتَرْشِدًا ، لِأَسْأَلَكِ : كَيْفَ أَنْسُجُ ثَوْبًا لِزَوْجَتِي عَلَى غِرارِ بَيْتِكِ الْعَجِيبِ ؟ »



«مَرْمَرُ» : زَعِيمُ النَّسَّاجِينَ يَنْسُجُ ثَوْبَهُ الأَوَّلَ

فَقالَتْ لَهُ الْعَنْـكَبةُ :

« لا سَبيلَ إِلَى ذٰلِكَ ، إِلَّا أَنْ تُقِيمَ عِصِيًّا ـ كَما أَفْعَـلُ ـ ثُمَّ تَنْسُجُ عَلَى مِنْوالِي بِدِقَّةٍ وَعِنايَةٍ . »

* * *

فَذَهَبَ « مَرْمَرٌ » وَتَخَيَّرَ جَمْهَرَةً مِنَ الْعِصِيِّ ، وَأَقامَها عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْ بَيْتِ الْعَنْـكَبةِ . ثُمَّ راحَ يَنْسُجُ ثَوْبًا عَلَى غِرارِها ؛ حَتَّى إِذا أَتَمَّ نَسْجَ الثَّوْبِ الْجَدِيدِ أَهْداهُ إِلَى زَوْجَتِهِ . . فَسُرَّتْ بِهِ سُرُورًا عَظِيمًا ؛ وَلٰـكِنَّها قالَتْ لَهُ :

« إِنَّ حِبالَهُ غَلِيظَةٌ خَشِنَةُ الْمَلْمَسِ ، وَخَيْرٌ لَنا أَنْ نَتَخَيَّرَ الْحَشائِشَ الرَّقِيقَةَ الْحَرِيرِيَّةَ ، لِنَسْجِ الثَّوْبِ ؛ فَإِنَّها ـ فِيما أَرَى ـ أَصْلَحُ مِنْ تِلْكَ الْحِبالِ الْغَلِيظَةِ ، وَأَلْيَنُ مَلْمَسًا . »

ثُمَّ ذَهَبَتْ مَعَ زَوْجِها ، وَأَرْشَدَتْهُ إِلَى حَيْثُ تَنْمُو النَّباتاتُ الْحَرِيرِيَّةُ الطَّوِيلَةُ ؛ فَجَمَعَ مِنْها شَيْئًا كَثِيرًا ، وَحَمَلَهُ إِلَى صَدِيقَتِهِ الْعَنْـكَبَةِ ، وَقالَ لَها :

« لَقَدْ بَدَأْتُ بِنَسْجِ شِباكِي مِنْ غَلِيظِ الْحِبالِ . . ثُمَّ ارْتَقَيْتُ ، فَصَنَعْتُ لِزَوْجَتِي ثَوْبًا مِنْ حِبالٍ أَرَقَّ مِنْها .



« إنَّ حِبالَهُ غَلِيظَةٌ خَشِنَةٌ المَلْمَسِ . . . ! »

« لَقَدْ بَدَأْتُ بِنَسْجِ شِباكِى مِنْ غَلِيظِ الْحِبالِ . .
ثُمَّ ارْتَقَيْتُ ، فَصَنَعْتُ لِزَوْجَتِى ثَوْبًا مِنْ حِبالٍ أَرَقَّ مِنْها .

فَهَلْ أَسْتَطِيعُ - بِإِرْشادِكِ - أَنْ أَنْسُجَ مِنَ الْحَشائِشِ الطَّوِيلَةِ ثَوْبًا لِزَوْجَتِى ، أَرَقَّ مِنَ الثَّوْبِ الْأَوَّلِ وَأَلْيَنَ ؟ »

فَقالَتِ الْعَنْكَبَةُ :

« أَحْضِرْ إِلَيَّ زَوْجَتَكَ ، لِأُعَلِّمَها كَيْفَ تَصْنَعُ ثَوْبَها . »

* * *

وَبَعْدَ زَمَنٍ قَلِيلٍ ، تَعَلَّمَتْ « زُمُرُّدَةُ » مِنَ الْعَنْكَبَةِ كَيْفَ تَنْسُجُ ثَوْبَها .. فَلَمَّا ارْتَدَتْهُ اشْتَدَّ فَرَحُها ، وَذَهَبَتْ إِلَى جاراتِها مَزْهُوَّةً فَخُورَةً بِما عَلَيْها مِنْ ثِيابٍ .

٩- زَعامَةُ « مَرْمَرٍ »

وَقَدْ أُعْجِبَتْ نِساءُ الْغابَةِ بِهٰذا الثَّوْبِ الْجَمِيلِ ، الدَّقِيقِ النَّسْجِ ، وَحَسَدْنَ « زُمُرُّدَةَ » عَلَيْهِ ، كَما أُعْجِبْنَ بِمَهارَةِ « مَرْمَرٍ » الَّذِى عَلَّمَ زَوْجَتَهُ صُنْعَ هٰذا الثَّوْبِ الْبَهِيجِ ، وَطَلَبْنَ مِنْهُما أَنْ يَصْنَعا لَهُنَّ ثِيابًا رَقِيقَةً عَلَى غِرارِ هٰذا الثَّوْبِ .

وَأَطْلَقَ الرِّجالُ عَلَى « مَرْمَرٍ » لَقَبَ : « زَعِيمِ الصَّيَّادِينَ » ، كَما أَطْلَقَ عَلَيْهِ النِّساءُ لَقَبَ : « زَعِيمِ النَّسَّاجِينَ » .

وَكانَ ما يَصْطادُهُ « مَرْمَرٌ » - بِشِباكِهِ وَحَبائِلِهِ - يَزِيدُ عَلَى حاجَتِهِ وَحاجَةِ أُسْرَتِهِ ؛ فَراحَ يُهْدِي جِيرانَهُ وَعَشِيرَتَهُ - مِنَ الصَّيْدِ - ما يَكْفِيهِمْ طُولَ الْعامِ .

وَهٰكَذا قَضَى « مَرْمَرٌ » حَياتَهُ طَيِّبَةً هَنِيئَةً ، وَأَصْبَحَ مَوْضِعَ إِجْلالِ قَوْمِهِ وَحُبِّهِمْ .. واتَّخَذُوهُ لَهُمْ زَعِيمًا وَقائِدًا ، وَعاشَ مَعَ أَبْنائِهِ وَحَفَدَتِهِ فِي خَفْضٍ وَدَعَةٍ .

وَكانَ النَّاسُ يُسَمُّونَهُ : « سَيِّدَ النُّسَّاجِ » ؛ وَلٰكِنَّهُ كانَ - كُلَّما سَمِعَ هٰذا اللَّقَبَ - أَشارَ إِلَى صَدِيقَتِهِ الْعَنْكَبَةِ ، مُعْتَرِفًا لَها بِبَراعَتِها ، وَجَمِيلِ صُنْعِها وَدِقَّتِها ، ثُمَّ يَقولُ :

« كَلَّا ، لَسْتُ سَيِّدَ النُّسَّاجِ . إِنَّما أَنا تِلْمِيذُ هٰذِهِ الْعَنْكَبَةِ الصَّنَاعِ (الْبارِعَةِ الصُّنْعِ) الَّتِي عَلَّمَتْنِي كَيْفَ أَنْسُجُ . وَهِيَ أَجْدَرُ مِنِّي بِزَعامَةِ النَّسَّاجِينَ ؛ وَلَوْلاها ما عَرَفْتُ شَيْئًا . »

* * *

الكيلانى

مُنْشِئُ « مَـكْتَبَةِ الأَطْفالِ » الْعَرَبِيَّةِ

للشاعر « خليل مطران »

الأُسْتاذُ الْـكَبيرُ « كامِلُ الْـكيلانِيُّ » مُطالِعٌ بِلا حِسابٍ ، وَحافِظٌ بِلا حِسابٍ ، وَمُثْمِرٌ بِلا حِسابٍ !

أَقُولُ بِلا حِسابٍ ، وَأَعْنِي الْـكَثْرَةَ الْمُبارَكَةَ ، أَعْنِي : الْغَيْثَ اسْتَدَرَّ عَلَى تُرْبَةٍ خِصْبَةٍ فَيْحاء ؛ فَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ جانِبٍ أَحاسِنَ النَّباتِ ، أَعْنِي : النِّيلَ اسْتُنْزِلَ مِنْ عالِي الشِّعابِ وَبَعِيدِها ؛ فَأَحْيا - مِنَ الرِّمالِ - الْمواتَ ، وَأَخْرَجَ الْمُرُوجَ وَالْجَنَّاتِ .

تَسْمَعُهُ فَتُسْقَى مِنْ فَيْضِ عِلْمِهِ وَلا تُرْوَى ، وَتَقْرَأُ لَهُ فَتَطْعَمُ مِنْ جَنِيِّ حِلْمِهِ وَلا تَشْبَعُ . عَلَى أَنَّ تِلْكَ الذَّخائِرَ - الَّتِي جَمَعَها صَدْرُهُ فَأَوْعَى - قَدْ غَذَتْ مِنْهُ قَرِيحَةً وَلُودًا ، لَمْ يَأْتِ غَيْرُها بِأَنْجَبَ وَلَدًا ، وَلا بِأَكْثَرَ عَدَدًا !..

مِنَ الْعُلَماءِ مَنْ يَخْتَزِنُ وَلا يَنْفَعُ بِعِلْمِهِ . وَمِنَ الْأُدَباءِ مَنْ يُجِيدُ اللَّفظَ وَيَبْرَعُ فِي الْأُسْلُوبِ .. وَلٰـكِنَّهُ إِنَّما يُخْرِجُ

مِنَ الدُّرِّ ، وَيَصُوغُ مِنَ الْقَلائِدِ ، ما يُتابِعُ بِهِ الْعاداتِ ، وَلا يَعْدُو الإِعاداتِ . أَمَّا الْمُنْشَآتُ الصَّادِرَةُ عَنْ مَقْدِرَةٍ واخْتِراعٍ ؛ فَقَلَّ مَنْ يُحاوِلُها ، لِأَنَّ دُونَها عَناءً بِقَدْرِ خَطَرِها .

لا كَذٰلِكَ الْأُسْتاذُ « الْكِيلانِيُّ » !.. فَقَدْ نَظَرَ فِي حاجاتِ عَصْرِهِ ـ وَحاجاتُ الْعَصْرِ حَوْلَهُ جَمَّةٌ ـ فَبَعْدَ أَنْ تَرْجَمَ ما تَرْجَمَ مِنْ قِصَصِ أَكابِرِ الْأُدَباءِ الْغَرْبِيِّينَ ، وَدَرَسَ ما شاءَ مِنْ مُخَلَّفاتِ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنَ الْعَرَبِ ـ نَثْرًا كانَتْ أَوْ شِعْرًا ، أَوْ حِكْمَةً ـ وَراضَ مَلَكَتَهُ أَوْفَى الرِّياضاتِ : نَظْمًا وَنَثْرًا ، هَدَتْهُ فِطْرَتُهُ الْإِنْسانِيَّةُ الرَّقِيقَةُ إِلَى مَجالٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُجْرِيَ فِيهِ : قَلَمَهُ نَظْمًا وَنَثْرًا ؛ فَيُحْدِثَ لِلْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ حَدَثًا جَدِيدًا ، يَكْفُلُ تَنْشِئَةَ أَبْنائِها عَلَى حالَةٍ مِنَ الثَّقافَةِ الْمُتَدَرِّجَةِ ، تُوصِلُهُمْ إِلَى الْغايَةِ الَّتِي يُدْرِكُها أَبْناءُ الْأَجانِبِ ، وَقَدْ كَوَّنَتْ أَذْهانَهُمْ بِمِثْلِ الطَّرِيقَةِ السَّهْلَةِ الْمُشَوِّقَةِ الْبارِعَةِ الَّتِي وَضَعَها لَهُمْ جَهابِذَةُ التَّرْبِيَةِ عِنْدَهُمْ .

عُنِيَ بِتَغْذِيَةِ عُقُولِ الْأَطْفالِ ، وَتَهْذِيبِ أَخْلاقِ الْأَطْفالِ ، وَتَقْوِيمِ مَلَكاتِ الْأَطْفالِ ، عَلَى الْعَرَبِيَّةِ الصَّحِيحَةِ ؛ فَأَلَّفَ واقْتَبَسَ لَهُمْ قِصَصًا ـ بَيْنَ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ ـ نَيَّفَتْ كَرارِيسُها

وَكُتُبُها عَلَى الْأَرْبعِينَ ، وَدارَجَهُمْ بِما هَيَّأَهُ لَهُمْ فِيها مِنْ أَسْبابِ الإِنارَةِ والإِرْشادِ ، مِنْ حَداثَتِهِمُ الْأُولَى إِلَى اقْتِبالِ الصِّبا ، بَلْ إِلَى شَرْخِ الشَّباب ؛ فَأَتَى - فِي سَرْدِهِ - بِكُلِّ شَيْءٍ مُفِيدٍ ، وَمُمْتِعٍ قَيِّم .

وَقَدْ تَرَى - فِي كَلامِهِ - السَّهْلَ الْمُمْتَنِعَ ؛ فَلا تَتَبَيَّنُ مِنَ الْفَوْزِ قَدْرَ ما بَذَلَهُ مِنَ الْجَهْدِ فِيهِ . وَلٰكِنَّكَ إِذا انْتَقَلْتَ - مَثَلًا - إِلَى ما عَرَّبَهُ وَلَخَّصَهُ وَقَرَّبَهُ مِنْ أَضْخَمِ مَسْرَحِيَّاتِ « شِكْسبيرَ » ، وَبَدا لَكَ مِنْ تَجْدِيدِهِ لِتِلْكَ الْقِصَصِ عَلَى نَحْوٍ خاصٍّ ، ما جَمَعَ فِيهِ - مِنَ الْفَصاحَةِ فِي الْمَبانِي ، إِلَى الْبَلاغَةِ فِي الْمَعانِي ، وَمِنَ الْجَزالَةِ فِي الشِّعْرِ ، إِلَى السُّهُولَةِ فِي النَّثْرِ - بَدا لَكَ ، بِجُمْلَتِهِ وَتَفْصِيلِهِ ، صَنِيعُ هٰذا الرَّجُلِ فِي أَرْوَعِ صُورَةٍ تَجْلُو فِطَنَهُ الْمُبْدِعَةَ ، وَكِفاياتِهِ الْمُتَنَوِّعَةَ .

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِلْأُسْتاذِ « الْكِيلانِيِّ » إِلَّا أَنَّهُ الْمُبْتَكِرُ فِي وَضْعِ « مَكْتَبَةِ الْأَطْفالِ » بِلِسانِ النَّاطِقِينَ بِالضَّادِ ؛ لَكَفاهُ فَخْرًا ، بِما قَدَّمَهُ لِرَفْعِ ذِكْرِهِ ، وَما أَحْسَنَ بِهِ إِلَى قَوْمِهِ وَعَصْرِهِ ؟

خليل مطران



أساطير إفريقية

بقلم كامل كيلانى

صدر منها :

الصياد والعنكبة

جد القرود

الأسد الطائر

مخاطرات أبى أيوب

لؤلؤة الصباح

دار مكتبة الأطفال - القاهرة
أول مؤسسة عربية لتثقيف الطفل
٣٢ شارع حسن الأكبر - ت ٥٠٨١٨
٢٨ شارع البستان - ت ٣٣١٥٨